أرنون»، فحاصرها واحتلها، وتابع سيره إلى صيدا فاحتلها «بهجوم عاصف» في 20 آب/ اغسطس 1178م (575هـ)[30]. ثم شنّت قواته هجوماً من بانياس على طبرية، مما أثار الذعر في صفوف الصليبيين، فسارع بلدوين، ملك بيت المقدس، إلى عقد هدنة مع صلاح الدين لمدة سنتين «في البر والبحر على حد سواء» وذلك في أيار/ مايو عام 1180م (576هـ)، وبشروط يقول عنها «وليم الصوري» إنها «مذلة» للصليبيين. يقول وليم الصوري في ذلك: «كانت الشروط مذلة لنا إلى حد ما، حيث عقدت الهدنة بشروط متساوية ودون أية تحفظات مهمة من جانبنا، شيء يقال إنه لم يحدث من قبل»[31]. وقد استجاب صلاح الدين لطلب الملك الصليبي، وكان ذلك ضرباً من ضروب البراعة التي اشتهر بها، إذ إنه منع، بذلك، وصول أية مساعدة من ملك القدس إلى باقي حلفائه الصليبيين، مما أتاح لصلاح الدين استكمال الاستيلاء على شمال سوريا[32]. ثم ما لبث صلاح الدين أن انتقل بجيشه شمالاً لكي يهاجم إمارة طرابلس، فعسكر قرب المدينة، بينما كان أسطوله المبحر من جزيرة أرواد، والمؤلف من خمسين من الشواني، يجوب البحر وهو يرصد الساحل الشامي بغية قطع الإمدادات البحرية عن المدينة، ومحاصرتها بحراً، مما أثار الرعب في صفوف أهلها وحاميتها، فسعى كونت طرابلس عندها إلى عقد صلح معه، كذلك الذي عقده صلاح الدين مع ملك بيت المقدس في طبرية، وكان ذلك في العام نفسه (1180م)[33]. واغتنم صلاح الدين الفرصة، بعدها، فعاد من جديد، إلى مصر لكي يعدّ نفسه وجيشه لمرحلة جديدة من مراحل صراعه مع الصليبيين.

كيف كان الوضع العسكري لصلاح الدين في نهاية هذه المرحلة؟

يبدو أن صلاح الدين كان على قدر كبير من الفكر الاستراتيجي المتنور،

---

(30) الصوري، المصدر السابق، ج 2: 1011 ـ 1015، وابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 455.

(31) الصوري، المصدر السابق، ج 2: 1016 ـ 1017، ورنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 679.

(32) يذكر ابن الأثير (المصدر السابق، ج 11: 464 ـ 466) أن صلاح الدين أرسل قوات كي تقاتل «قلج أرسلان» في قونية (عام 575هـ = 1179م) ثم سار إليه بنفسه في العام التالي (576هـ = 1180م) ويعد أن كان قد هادن الصليبيين، فصالحه قلج أرسلان، ولم تحدث بينهما حرب، إلا أن باقي المصادر لم تؤكد ذلك، كما أننا، بدورنا، نستبعده.

(33) الصوري، المصدر السابق، ج 2: 1018 ـ 1019، ورنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 680.